# فعل التأويل في الدرس الغربي
# من الدين إلى الفلسفة إلى النقد

أ/ نوال بوالطمين. تحت إشراف د/وسيلة بوسيس
(جامعة محمد الصديق بن يحي _جيجل)
naouelboutemine@yahoo.com


| | | |
|---|---|---|
| تاريخ الإرسال:2019/07/30 | تاريخ القبول:2019/11/03 | تاريخ النشر: 2019/12/06 |


**ملخص:** سار التأويل في الدرس الغربي وفق تحولات هامة استطاعت أن تشكل مفهومه وحدوده، بدءا بإشكالية فهم النصوص المقدسة وتفسيرها مستعينة بالموروث الاغريقي،لتنطلق كمنحى فعلي مع الفلسفة مع شلايرماخر ودلتاي وتمتد مع ريكور وايكو،ثم استثمار النقد وارتكازه على هذه المرجعية في قراءة النصوص والخطابات، ليرتسم طريق التأويل بين حدود الدين والفلسفة والنقد.

**الكلمات المفتاحية:**التأويل :النص المقدس، الفلسفي، النقدي.

**Abstarct:** The Esoteric hermeneutics in the Western lesson took a part of important transformations which were able to form its concept and limits, starting from the problem of understanding and interpretation of the holy texts Using the Greek heritage, to start as an actual guide with philosophy by Schleiermacher and Deltay and extend with Ricorer and Eco, then comes the investment of the criticism based on this reference in the reading of texts and speeches, finally, setting up the process of hermeneutics between the limits of religion, philosophy, and criticism.

**Key words** :hermeneutics religion/philosophical /critical text

**مقدمة:**

يعيش العقل الغربي حالة دائمة من المسائلة والمراجعة،وتصحيح الرؤى والمقولات التي سادت الفكر الغربي لآلاف السنين،والتي ظلت متمركزة ضمن علاقات داخلية لمفهمة النصوص والخطابات ، فحدت من إنتاجيتها بحصر الذات وسلطتها في بحثها اللامتناهي عن المعاني والدلالات، غير أن الفلسفات المعاصرة برؤاها المتجددة كالظاهراتية التي بدأت معها العودة إلى الذات بعد أن كانت مقصاة، ومع التفكيك الذي يقضي بهدم كل المسلمات والتمركزات،جاءت التأويلية كفلسفة هي الأخرى ومنهج وفعل قراءة أخرى للفكر الغربي، وهي الممارسة التي شغلت مساحة هامة منذ القديم غير أن فعلها أخذ في الدرس الغربي-تحديدا–مسار تحولات هامة شكلت مفهومه وما يقصد إليه، بدءا من إشكالية فهم النصوص المقدسة وتفسيرها، وقبلها فهم الأساطير اليونانية واللاتينية القديمة، لتنطلق بعدها كمنحى فعلي مع الفلسفة بوصفها منهجا عاما للفهم مع شلايرماخر ودلتاي وتمتد مع غادامير إلى بول ريكور وإيكو...،وباستثمار النقد للمرجعية الفلسفية وارتكازه عليها في تفسير وقراءة النصوص والخطابات وفهمها ليرتسم طريق التأويل بين حدود هامة تمثلت في الدين، الفلسفة،النقد وهو الممارسة الفعالة في الفكر الإنساني عامة،لذا ما مفهوم التأويل؟ وما هي حدوده في الدرس الغربي وخاصة المعاصر منه؟ كيف كان اشتغال التأويل ضمن هذه الحدود:الدين،الفلسفة،النقد؟ باعتباره أحد أبرز الممارسات التي شغلت حيزا هاما في المقاربات مابعد الحداثية المعاصرة.

**في مفهوم التأويل:**

تعددت البيئات والتيارات والاتجاهات التي تشكل ضمنها هذا المصطلح، فلابد من تحديد مفهومه اللغوي الذي يفيد أكثر في فهم وتقريب المفهوم الاصطلاحي للتأويل والذي يصعب معه تقديم تعريف واف وشاف ،والسبب كما سلف ذكره هو تعدد واختلاف البيئات الفلسفية والمعرفية والفكرية.

**المفهوم اللغوي:**

جاء في لسان العرب لابن منظور:«أول:والأول يعني الرجوع، آل الشيء يؤول أولا و مآلا: رجع، وأوّل إليه الشيء:رجعه،وألت عن الشيء:ارتددت (...) وأوّل الكلام وتأوله:دبّره وقدّره،وأوله وتأوله،فسره(...)والمراد بالتأويل:نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ(...)، وأما التأويل هو تفعيل،من أول يؤول تأويلا وثلاثيه آل يؤول أي رجع

وعاد. وسئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن التأويل فقال:التأويل والمعنى والتفسير واحد. قال أبو منصور ويقال:ألت الشيء أؤوله إذا جمعته وأصلحته،فكان التأويل جمع معاني ألفاظ شكلت بلفظ واضح لا إشكال فيه.ويرى الليث،أن التأول والتأويل:تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح إلا ببيان غير لفظه،وأنشد:

نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله»([1])

ما يشير إلى أن التأويل يدل على المعنى والتفسير والدلالة.

## المفهوم الاصطلاحي:

تتعدد التعاريف وتتنوع بين تعريب وترجمة،فطالما ارتبط مصطلح التأويل في الدراسات الغربية بمصطلح الهرمنيوطيقا المأخوذ من التراث الإغريقي،إذ تدل«الهرمنيوطيقا–قبل كل شيء–ممارسة فكرية دليلها الآلية أو الفن،وهو ما يستحضره تشكيل اللفظ الذي يدل على التقنية...يتخذ طبعا الفن هنا دلالة الإعلان والتراث والتفسير والتأويل،ويشتمل طبعا على فن الفهم كأساس ودعامة له،والضروري عندما لا يستعاب دلالة الشيء صورة صريحة دون لبس، نجد في الاستعمال القديم للفظ نوعا ما من الالتباس»([2])،ولتوضيح هذا التعريف الاصطلاحي أكثر وما يشير إليه من دلالة التفسير والفهم تكون«التأويلية Hermeneutic تلك الكلمة اليونانية التي يراد بها فن التفسير وتفسير النص ويقال أحيانا: إن هذا المصطلح لا ينفصل من جهة الجذور اللغوية عن كلمة هرمس Hermes رسول الآلهة، ولاشك أن المفسر يؤدي عمل هرمس ويسعى إلى كشف معنى خطابه بوصفه وسيطا يتولى نقلا ما، ووكِّل بتبليغه من قبل الآلهة،ويقوم بمهمة الشرح والتوضيح لمضمون النص.»([3]) انطلاقا من التعريفين اللغوي والاصطلاحي فإن التأويل في عمومه لهو إشارة إلى فعل الفهم والتفسير والشرح وإيضاح المعنى والدلالة الخفية والماورائية،المشفرة من تحت المعاني الظاهرة،« فقد ارتبطت كلمة التأويل على وجه الخصوص بفكرة البحث عن المعنى العميق الخفي والتعامل مع الجانب الرمزي الذي يحتاج إلى أدوات خاصة»([4])،تنفك معها شفرات المعاني والدلالات ويسهل معها الكشف عن الحقيقة (الدلالية)،ويكون ذلك عن طريق قارئ ناقد ومؤول ومفسر كطرف مهم تقوم على أساسه فكرة التأويل،إذ تتطلب عملية التفسير والبحث عن المعنى مؤول ذو ثقافة واسعة،أو موسوعية،بمعنى أدق حتى تتسنى له عملية«تجاوز المباشر وزحزحة العلاقات وتغيير المواقع وإعادة ترتيب عناصر

العلاقات وبالتالي يقف التأويل على لحظتين هما:الأولى:تشير إلى المعنى المباشر الذي يمكن اعتباره قاسما مشتركا لكل الدلالة التي تتبناها مجموعة لغوية ما،أما الثانية بوصفها لحظة تأويلية تحضر في الواقعة على شكل إحالات رمزية،وهي إحالات تثير فينا أسئلة تدفعنا باستمرار إلى رحلة البحث عن الحقيقة،هذا البحث تكون معه الحاجة إلى التأويل ضرورة ملحة»([5])،إذ يمثل هذا الفعل نشاطا معرفيا وفكريا يمس كل مجالات الحياة،سعيا للبحث عن الحقيقة،عن الذات،عن المضمر في المعرفة بكل أشكالها،وبالتالي فالتأويل هو«أصل القراءات ومبررها الأول والأخير،لذلك لا يجب النظر إليه باعتباره ترفا فكريا أو ضلالا أو خروجا عن سبيل مستقيم،إنه محاولة لاستعادة مناطق مهولة داخل ذواتنا،أفرزتها الممارسة الإنسانية،لكنها ظلت مستعصية على التحديد المستند إلى الفهم النفعي للحياة...ثم إن حاجة الإنسان إلى التأويل تبقى ضرورية بوصفه فعالية دلالية ونشاطا معرفيا وفلسفيا لفهم الحياة واستعادة لمناطق أكثر غورا داخل الذات الإنسانية.»([6]) وبهذا يحمل التأويل معنى الفهم والتفسير والإيضاح،انطلاقا من مبدأ تجاوز المعنى المباشر بحثا عن العميق والمخفي منه،فتكون التأويلية بذلك طريقة أساسية من الطرق«التي ندرك بها العالم وبها نفكر ونفهم،ذلك أن لها جذورا فلسفية نسميها الابستيمولوجيا،تتعلق بكيفية مطلق المعرفة وكيفية التفكير في شرعية ادعاءاتنا بمعرفة الحقيقة.»([7])

جمع الباحث"ريتشارد بالمر" للتأويل ستة مفاهيم رسمت مراحل تشكل المصطلح «وهي:-نظرية تفسير الكتاب المقدس،وهي أقدم نظرية في هذا السياق.

-المنهج اللغوي العام،وقد ظهر هذا التعريف في عصر التنوير.

-فن الفهم كما عرّفه شلايرماخر.

-أساس المنهج المعرفي العلوم الإنسانية،كما فهم ويلهم دلتاي.

-فينومينولوجيا الوجود،وفينومينولوجيا الفهم الوجودي،وهو ما بنى عليه كل من هايدغر وغادامير.

-إمكانية تقسيم أنساق التأويل التي يستعملها الإنسان للوصول إلى المعاني في الأساطير والرموز وهو تعريف بول ريكور.»([8])

**امتدادات فعل التأويل :**

انطلقت التأويلية في بداياتها مهتمة بتأويل الأساطير والكتب القديمة وتفسيرها انطلاقا من أعمال الإغريقيين وشعرائهم كهوميروس،بوصفها «منهجا لغويا عاما للفهم وهو ما يسمى بعلم

التأويلية اللغوي (فقه اللغوي)،تفهم من خلاله المتون اليونانية واللاتينية القديمة، فضلا عن فهم المتون المقدسة وتفسيرها.»[9]وهو ما يوضح ارتباط التأويلية آنذاك بالفيلولوجيا، ففي الأسطورة اليونانية اعتبر هورمس رسول الآلهة إلى البشر، كما أن الأوصاف التي دل علىها هوميروس تظهر غالبا أنه (أي هورمس) يبلغ حرفيا ما وكّل بتبليغه.»[10] ثم إن مصطلح Hermeneia قد تدل بمعنى محايد تماما على التعبير عن الأفكار،ولكن من الملاحظ أن أفلاطون لا يربط هذا اللفظ بأي تعبير عن الأفكار،وإنما بمعرفة الأمير والرسول...والذي له خاصية الأمر والإذعان،لا توجد دون شك أية صيغة لفهم التقارب بين فن التأويل والفن التكهني،فن تبليغ الإرادة الإلهية يقف جنبا إلى جنب مع فن إدراك هذه الإرادة أو تكهن المستقبل انطلاقا من علامات معينة.»[11]

إن هذا الفهم لكلمة الهرمينوطيقا عند اليونان وقبله الأساطير كان يدل على التبليغ،الذي يكون بتنبؤ أو تكهن انطلاقا من إشارات معينة ليتطور إلى مفهوم الممارسة انطلاقا من فكرتي الفن والآلية لقد وقع تساؤل هام بخصوص هذا الفعل أو الممارسة«ما هو الموطن والمكان الأولي لقيام التأويل الهرمينوطيقا وانتشاره؟ ففي البداية،كان الأمر يتعلق في الثقافة الغربية اليهودية بقانون النص التوراتي وهذا المكان حاسم للغاية بحيث إن عددا كبيرا من الباحثين يحاول جعل التأويل مماثلة لشرح التوراة،وإعادة تأويل الأحداث والشخوص وفي مؤسسات التوراة العبري.هذا إذا استخدمنا مصطلحات إعلان المسيحية فيما بعد وعلى يد الأحبار اليونانيين وكل الهرمينوطيقا الوسطية،التي كتب تاريخها الحبر "لوباك" ثم تأسيس الصرح المعقد للمعاني الأربعة للكتاب المقدس.»[12] ومن هنا بدأ الفهم المبكر لمعنى التأويل الذي يقوم على التفسير وشرح بواطن النصوص المقدس،خصوصا وأن التأويل قام على ركيزة البحث الرمزي (المجازي) من المعاني، فقد تجلى«محور الهيرمينوطيقا القديمة في مشكل التأويل الرمزي،والذي هو تأويل قديم جدا فالمعنى الباطني أو الهيبونويا Hyponoia هو لفظ قديم كان يدل على المعنى الرمزي،إذ استعمل هذا التأويل في زمن السوفسطائية [...] التي أصبح من الضروري تطوير فن جديد في تأويل وترجمة التراث [خصوصا] مع دمقرطة المدن الإغريقية آنذاك عندما تبنت النبالة قيم النبلاء... وأصبح ليس من الغريب أن يضفي عليه المشهد ملامح وسمات سوفسطائية.»[13] وبهذا الشكل كان التأويل يحمل معنى النقل والترجمة،وأصبح « التميز أو التصوير فيما بعد–في التأويل الهوميري الذي طورته الهيلانية،وخصوصا مع الرواقية طريقة تأويل عالمية في متناول الجميع ،لما فيها

هرمنيوطيقا الآباء التي لخصها كل من أوريجين وأغسطين، ثم عمل كارديناس في العصر الوسيط على إضفاء النسقية عليها، بتطويره لمنهج الدلالة الرباعية للكتابة المقدسة (الأناجيل الأربعة)»([14])

وعلى إثر هذا الصرح انطلقت التأويلية من إشكالية قراءة النصوص اللاهوتية والمقدسة وفهمها وتفسيرها بعهديها القديم والجديد،ثم «أول ما ظهرت كلمة هرمينوطيقا كان ذلك في عنوان إحدى الكتب عند دانهاور سنة 1654 م»([15]) وأصبح هناك اختلاف بين التأويل اللاهوتي الفينولوجي والتأويل القانوني (قانون الإله أو الفرد)،إذ تدل الهرمينوطيقا في«علم اللاهوت (الثيولوجيا) على فن تأويل وترجمة الكتاب المقدس (الأسفار المقدسة) بدقة، فهو في الواقع مشروع قديم أنشأه وأداره آباء الكنيسة بوعي منهجي دقيق، وعلى وجه الخصوص عند القديس أوغسطين في مؤلفه العقيدة المسيحية...،ونشاط العقيدة المسيحية أملاه التوتر الذي كان بين التاريخ الخاص للشعب اليهودي، والذي أوله العهد القديم على أساس أنه تاريخ الخلاص،وبين الإعلان الخلاصي للسيد المسيح في العهد الجديد، فقد استعمل في هذه الفترة التفكير المنهجي قصد إيجاد الحلول لهذه المسائل استلهاما من تعاليم وتصورات الأفلاطونية المحدثة.»([16]) وهو ما قام به القديس أوغسطين عندما حاول حلّ هذه المشكلة بتخليصنا من الفهم القديم ( العهد القديم) وهو المعنى الحرفي ويتجاوزه إلى المعنى الروحي (العهد الجديد) للهرمينوطيقا،وبهذا ركزت التأويلية على قواعد صيغت لأجل فهم النص المقدس خصوصا في ظل سلطة رجال الكنيسة ورفضهم أي مساس بالكتاب المقدس الذي كان « حكرا على القساوسة والرهبان،ولذلك أصدر علماء البروتستانت كراسات حول فهم الكتاب المقدس محاولة منهم في تصحيح مسارات الكنيسة والإرهاب الفكري الذي كانت تمارسه،فأصبح كل مسيحي بوسعه تفسير الكتاب المقدس بعد رعايته لجملة من القواعد والمعايير.»([17])

إن القيام بمثل هذا التحرر من قيد الكنيسة التي ظلت تفرض سلطتها على الكتاب المقدس وتقديم فهمها الخاص دون منح حق تفسير هذا النص لأي كان،جاء بدفع من أحد رواد الإصلاح الديني آنذاك وهو مارتن لوثر الذي جعل «الفرد حرا في قراءة الكتاب المقدس وحرا في تفسيره وألغى وساطة الكهنة والأسرار المقدسة التي تحتفظ بها الكنيسة،وجعل الصلة بين الله والفرد الإنساني كما أعلن بأنه بإمكان تأويل الكتاب المقدس تأويلا عقليا.»([18]) وقد أيده في ذلك "ماتياس فلاسيوس" أحد اللوثريين كذلك التي ثار هو الآخر على سلطة الكنيسة «ومسألة مصادرة حرية

قراءة النص المقدس،ليقترح أولوية التراث في إكراه أو توجيه قسري،إذن يعود الفضل [ إليه] في تأسيس حلقة فن التأويل،والتي تنقل من الفهم الشامل والكلي للمعنى الذي يختزنه النص إلى فهم أجزاء هذا النص، وعليه ينشأ تأويل شبه دوري يستند فيه الفهم الكلي على فهم أجزائه وعكسه فمثلا تأويل الإنجيل ينبغي أن يفهم كل كتاب وكل مقطع، وهذه الدلالة الشاملة تتشكل بالاستناد إلى فهم كل جزء على حدى.»([19])

إن طريقة البحث عن المعنى المخفي أو المستتر أو طريقة تفسيره،تكون خاضعة في النص المقدس لنفس المعايير والقواعد التي يخضع لها تأويل أي نص، فقط «السؤال الأساسي في اللاهوت المسيحي هو كيف يتأتى لنصوص تاريخية في التراث (...) المعنى في اللاهوت المسيحي ينبع من علاقة المفسر بالمستقبل.»([20])

كانت هذه أبرز الملامح ذات الطابع الديني التي تشكل ضمنها مفهوم التأويل كممارسة وكفعل قراءة اختصت أكثر ما يكون بالكتاب المقدس وبمفهومي التفسير والتأويل الرمزي، ومحاولة التوثيق الحرفي للمتون القديمة أكثر من التمسك بالأساطير القديمة عن الكون والحياة كذلك محاولتهم البحث عن الحقيقة عن طريق علاقة المؤول بالتاريخ والمستقبل.

اشتغلت الفلسفة أيضا بالتأويل، فكان أحد أهم المحاور الأساسية التي عالجت إشكاليتها وتصدت لهذه القضية الممارساتية باجتهادات ثلة من الفلاسفة الذين ذاع صيتهم بخصوصها،«إذ مثلت الهرمنيوطيقا الآن واحدة من التيارات الأساسية في الفلسفة المعاصرة، ولا شك أن هذا التيار أو الاتجاه الفلسفي قد تشكل في صورته المعاصرة داخل الفلسفة الألمانية بدءا من شلايرماخر ودلثاي إلى غادامير،فحتى بول ريكور يعد من أبرز أعلام هذا التيار في فرنسا،يبدو من حيث أصوله الفكرية أقرب إلى الفلسفة الألمانية منه إلى الفرنسية،وإلى محاولات الإيطالي امبرتو إيكو، ومع ذلك فقد قدّر لهذا التيار أن يحتل مكانا بارزا في الفكر الفلسفي المعاصر،ربما بسبب مرونته واتساع أفقه الذي أتاح له أن يتخطى حدود الفلسفة»([21])

لقد سعى الفيلسوف فريدريك شلايرماخر إلى تأسيس نظرية تأويلية عامة،انسل بها من مفهوم التأويل قديما في النصوص المقدسة ليقف على مفهوم هام هو الفهم، إذ«يعد شلايرماخر مؤسس الهرمنيوطيقا العامة، وصاحب الفضل في نقل مجال اهتمام الهرمنيوطيقا من دوائر اللاهوت إلى فضاء التفكير الفلسفي لتكون فنا للفهم عينه،فهو يعتقد أن الفهم ضرورة تأويلية تتطلبها النصوص،سواء كانت فلسفية أم أدبية،أم قانونية أم دينية(...) إذ لم تعد الهرمنيوطيقا

تقتصر على مجرد الكشف عن المعاني المبهمة في النصوص المقدسة بقدر ما أضحت بحثا عن الفهم من خلال لغة النص وما يحيط به من علاقات داخلية وخارجية.»([22])

لقد صاحبت فكرة تأسيس نظرية تأويلية شاملة،وجود مبدأ انطلق منه شلايرماخر في«توجهه وهو مبدأ " أولوية سوء الفهم"، أي أننا معرضين تلقائيا لسوء الفهم،أكثر من كوننا نفهم بكيفية صحيحة ومناسبة،خصوصا إذا تقدم النص،وصار أكثر غموضا والتباسا بالنسبة إلينا.من هنا كانت الحاجة إلى تأسيس علم أو فن للتأويل يعصمنا من سوء الفهم.»([23])

لقد أراد شلايرماخر بهذا المبدأ في شرحه ومعناه معارضة «القاعدة الأساسية التي تقوم عليها الهرمنيوطيقا التقليدية والتي مفادها أننا نفهم كل شيء إلى أن نصل إلى مقطع معين لا نفهمه ويتعارض مع ما فهمناه،ويؤسس الهرمنيوطيقا على قاعدة أخرى مناقضة للأولى:إننا لا نفهم أي شيء ما دمنا لم نمسك بمعناه أو لم ندرك أهميته بعد، وحسب القاعدة الثانية فإنّ التأويل يغدو مهمة غير منتهية.»([24]) ، إن مشروع التأويل/الفهم عند مؤسسه شلايرماخر، يسعى إلى فكرة هامة مفادها«تحرير الهرمنيوطيقا من تبعيتها للعلوم الأخرى التي تستخدمها لتفسير لخطاباتها الخاصة، ويكون قد وصل بها إلى أن تكون علما بذاتها يؤسس عملية الفهم، أي أنه جعل منها نظرية عامة، حول التأويل والفهم، وبعد ما كانت مجرد تأويل نصوص»([25]) تسعى للكشف عن المعنى المخفي فحسب دون الاعتماد على كفاءات الذوات في فرادتها وفي إبداعاتها.ومنه « فقد نشأت النظرية العامة لعلم التأويل ولفن التأويل،نظرية تعكف على الخطابات الأشد اختلافا، وتسعى إلى أن تبرز من خلالها الفكر الفردي الذي يعتبر الشروط العامة التي تمنحها اللغة لمجاوزتها وابتكار مفاهيم جديدة. والميزة النسقية الأكثر عموما وهي الفهم والخطاب واللغة والذات المكتملة ليبسط تضمناتها النوعية وهو بذلك يتجنب خطأ النظريات التأويلية السابقة في أنها تفتقر إلى مبادئ عامة.»([26])

لقد أثار الفيلسوف شلايرماخر قضية هامة في عملية الفهم، التي ترتكز على مفهوم اللغة،(ليس بمعناها التواصلي)وأن الممارسة التأويلية ترتكز على عملية الفهم/فهم الخطاب،هذا الأخير الذي فضلا عن أنه يرتكز على مفهوم اللغة باعتبارها نشاطا وواقعا ذهنيا، فإنه يرتبط أيضا بالفرد المبدع وبحياته الداخلية والخارجية التي تتدخل لامحالة في تشكيل إبداعه، وقد ارتسمت حلقة التأويل عند شلايرماخر وفق مقاربتين يقوم على أساسهما الفهم،« المقاربة النحوية(التأويل اللغوي) يكون بدراسة اللغة وأبنيتها المعجمية والنحوية،والمقاربة النفسية

(التأويل التقني)،التي تبحث في الخطاب باعتباره جهدا فرديا يرتبط بالموهبة والعبقرية الذاتية التي أبدعته.»([27]) من هنا يتراءى لنا معنى الهرمينوطيقا الرومانسية التي نعتت بها تأويلية شلايرماخر ومن جاء بعده "دلثاي" والتي جعلت من تجربة الذات وصيرورتها النفسية وأفكارها محور الإبداع والإنتاج وهو ما أبان عن « نغمة الرومانسية التي كانت تسم موقف شلايرماخر، وجعلته يقصي تجربة المؤول الراهنة التي تنطلق منها عملية الفهم لصالح تجربة الكاتب الذاتية وعملية الإبداع المولدة للنص،واللتين أصبحتا هدف الممارسة الهرمينوطيقية ومدارها»([28]) فاصطبغت تأويليته بالرومانسية انطلاقا من التركيز على فردية الذات في إبداعاتها.

ومهما كان من الانتقادات التي وجهت لتأويلية شلايرماخر،إلا أنها أحدثت نقلة نوعية عما كانت عليه سابقا مع النصوص القديمة،كما حررت مفهوم التأويلية من تبعتها للعلوم،واستحداث مفاهيم أكثر أهمية في الارتكاز عليها أثناء ممارستها.

يأتي الفيلسوف"ويليم دلثاي"وهو تلميذ "شلايرماخر" الذي خطا هو الآخر خطوة هامة في تاريخ التأويلية،والتي وسع من أساسها المنهجي وهو يطرق باب علوم الفكر من أوسعه،إذ أنه«أنها لم تعد مجرد علم أو فن لتأويل النصوص وفهمها،بل أصبحت الأساس المنهجي الوحيد والمقاربة "العلمية" الفريدة التي يمكن أن تلاءم "علوم الفكر". وباختصار شديد فإن "دلثاي" كان يجتهد خاصة لإعادة المعرفة إلى أسسها التأويلية بعد ابتعادها مسافة عنها،عندما أخضعت لموضوعية خاطئة.»([29])

جعل دلثاي من الممارسة التأويلية في فعلها المنهجي أحد مناهج العلوم الإنسانية في ظل ما كان سائدا من انحياز للعلوم الموضوعية (العلمية) الطبيعية حيث رأى دلتاي في الهرمينوطيقا«المبحث المركزي الذي يمكن أن يقدم الأساس الذي تقوم عليه جميع العلوم الروحية(الإنسانية)أي جميع المباحث التي تنصب على فهم أفعال الإنسان وكتاباته وفنه.لكي نؤول أي تعبير عظيم للحياة الإنسانية يلزمنا في رأي دلثاي فعل الفهم من الفهم التاريخي وهي عملية تختلف جوهريا عن الفهم العلمي التكميمي للعالم الطبيعي.ذلك أن ما نقوم به في هذه العملية من الفهم التاريخي هو معرفة شخصية بما يعنيه كائن إنساني آخر.»([30])

شرح دلثاي الفرق بين العلوم الطبيعية والإنسانية خاصة من ناحية المنهج،حتى يوضح ما اجتهد في تأسيسه للتأويلية،إذ ميز بين مفهومي الفهم والتفسير،ورأى أن« العلوم تضطلع بتفسير موضوعها من خلال الروابط السببية:إنها تعرف موضوعها "من الخارج" ويبقى موضوعها غريبا

عن العالم الإنسان.أما الفهم فهو في المقابل يعرف موضوعه (كائن إنساني أو إنتاج إنساني) "من الداخل":إن بمقدوري أن أعرف الحياة الباطنية لشخص آخر لأنني أيضا شخص.ليست هذه معرفة بالروابط السببية بل معرفة بشبكة من المعاني مماثلة لشبكة المعاني التي أفهم بها نفسي.»([31]) وعالجت تأويلية دلثاي أيضا الجوانب النفسية للإنسان المبدع،فجعلت للقيمة الفردية للإنسان محل دراسة جوهرية لفهم النصوص وتجارب الحياة،إذ« جعل من حقول الفكر مجالا للفردانيات النفسية،وربط بصورة جوهرية بين علوم الفكر وهذه القيمة الفردية التي تميز كل ما هو إنساني والتي لا يمكن اختزالها في مجرد تحقيق قانون فيزيائي أو أخلاقي.بعبارة أخرى فإن التعبيرات الإنسانية اللغوية وغير اللغوية هي تجل لنفسيات مفردة ومتميزة،والفهم هو الانتقال والتسرب إلى هذه النفسيات إنه العملية التي بواسطتها نعرف شيئا نفسيا ما عبر الرموز التي تجليه وتكشف عنه. وهكذا تتعمق السمة السيكولوجية التي وسم بها شلايرماخر عملية الفهم،وبدرجة أكبر لدى دلثاي.»([32]) وهو ما جعل تأويليته هو الآخر تصطبغ بصبغة الرومانسية،ثم إن هذا المفهوم (النفسي)بما يحمله من تشكيلات تجعل من الذات المقابلة متغلغلة لا محال في ذات ونفسية الذات الأخرى ومشاركة لها،متفاعلة معها في تجارب الحياة، ومتعايشة مع تفاصيلها وبما أن النصوص خاصة الأدبية هي إسقاطات وتعبيرات عن تجارب الحياة التي تستخدم اللغة كأداة تفصح عنها، وهو ما يسمى بالتجربة الحية أو المعاشة. « حيث إن هذه التجربة الذاتية تعتبر الشرط الذي لا يمكن تجاوزه لأي معرفة ... ويعتبر تجسيد هذه التجربة في الأعمال الأدبية أمرا يتجاوز الإبداع وتحقيق الوجود إلى إحياء الماضي وتعميق الوعي بالحاضر واستشراف المستقبل وعلى كل القراءات أن تستأنس بآليات التحليل الهرمينوطيقية، لأن مبادئ هذه الأخيرة حسب دلتاي هي التي يمكن أن تنير لنا السبيل إلى نظرية عامة في الفهم، لأن إدراك بناء الحياة الداخلية يقوم قبل كل شيء على تفسير الأعمال الأدبية حيث يصل نسيج الحياة الداخلية إلى أقصى أشكال اكتماله في هذه الأعمال ... وتتأسس عملية الفهم هذه على نوع من الحوار بين تجربة المتلقي الذاتية والتجربة الموضوعية المتجلية في الأدب من خلال الوسيط المشترك (اللغة)، فإدراك التجربة كما نعيشها هو أساس الفهم.»([33]) وهنا يكون هدف الهرمينوطيقا وعملها حسب دلتاي،وحسب ما يريده مفهوم الفهم الذي تقوم عليها التأويلية « تحقيق تطابقه مع باطن المؤلف والتوافق معه وإعادة إنتاج العملية المبدعة التي ولدّت النتاج أو الأثر الإبداعي والغاية القصوى للهرمينوطيقا هي الفهم الجيد للمؤلف أكثر مما فهم نفسه.»([34])

أخذت التأويلية مسارا أكثر خصوبة مع ما جاءت به الفينومينولوجيا من رؤى وقضايا قلبت موازين الفكر الغربي برمته والتي وجدت فيها التأويلية أساسا منهجيا أخرجها من حلقة الجهاز المفاهيمي الذي انحصرت فيه بدايات تشكلها،إذ يكاد«يجمع الباحثون في مجال قضايا فلسفة التأويل على أن الفينومينولوجيا (الظاهرية) كمنهج يهتم بدراسة الظواهر يدخل ضمن تحولات العقل التأويلي في الفلسفة الغربية أو قل بينهما صلات وروابط تشكلت بفعل ضرورات المعرفة والجدل العلمي حول تأسيس المفاهيم وضبط المقولات فالفينومينولوجيا في بحثها تسعى إلى معالجة مسألة فهم الوجود،أما الهرمينوطيقا فإن جهدها ينصب على إشكالية وجود الفهم كظاهرة بالمعطى الفينومينولوجي يعمل الكائن من خلالها على إعادة اكتشاف ذاته/الوجود من حوله في آن.»([35])

لقد كان الفضل في تأسيس الفينومينولوجيا خاصة كممارسة منهجية وعلى أسس مغايرة لما كان سائدا للألماني"أدموند هوسرل" لتتطور مع هيدغر، ميرلوبونتي، متجاوزين النظرة الهوسرلية وتنطلق منهجا وفلسفة في المعنى،والحديث عن هذه الأخيرة يحتاج لصفحات أكبر،فقط ما يهمنا هو ما قام به الفيلسوف مارتن هيدغر ونزوعه نحو فينومينولوجيا هرمينوطيقية من خلال مشروعه فينومينولوجيا الدازاين وأنطولوجيا الفهم،إذ يعد«إسهام هيدغر في التأسيس الهرمينوطيقي أكبر إنجاز فلسفي استقام به حال الهرمينوطيقا مشروعا انطولوجيا،تجاوز حدود المنحى الهوسرلي القائم على مركزية الذات،وأعاد للفلسفة سلطتها المطلقة،وهو شأنه شأن دلتاي في سعيه إلى تأسيس منهج موضوعي في العلوم الإنسانية ليشف/يفهم الحياة في ضوء الحياة ذاتها،حاول جاهدا أن يرتقي بالهرمينوطيقا إلى مركز التأمل الفلسفي،كذلك عمل على رد الاعتبار للوجود من منظور تأويلي،أي العودة إلى الأشياء في بداياتها الأولى، استقصاء وكشفا بعدما أزاحت الذات بتعاليها.»([36]) لقد أبان هيدغر في مفهومه عن التأويلية وفيما سماه هرمينوطيقا الدازاين، ليس« إلى علم (و قواعد) تأويل النصوص ولا إلى منهج للعلوم الروحية (الإنسانية) وإنما تشير إلى تبيان فينومينولوجي للوجود الإنساني ذاته،إذ يشير تحليل هيدغر إلى أن الفهم والتأويل هما طريقتان،أو أسلوبان لوجود الإنسان،ليس الفهم شيئا يفعله الإنسان،بل هو شيء يكونه ومن ثم يتكشف تأويل الدازاين عند هايدغر وبخاصة بقدر ما يمثل أنطولوجيا الفهم،يتكشف أيضا عن أنه هرمينوطيقاوقد كان بحثه(الوجود والزمان) هرمنيوطيقيا في المحتوى وفي المنهج أيضا،وبهذا عمق هيدغر مفهوم الهرمنيوطيقا ومجالها،حتى

أصبحت موصولة بالأبعاد الأنطولوجية للفهم،ومتوحدة في الوقت نفسه بالصنف الخاص من الفينومينولوجيا الذي أتى به هيدغر»([37])،وهو ما أكده في كتابه السالف الذكر، باعتبارهما منهجين فلسفيين نقديين متقاطعين لا محال مع بعضهما. وبهذا مثلت تأويلية هيدغر ممارسة فهم وجودية،من خلال قيامه «بتأسيس تأويلية فلسفية بالبحث عن معنى الفهم وحقيقته،بدل البحث عن منهجه وقواعده،وبذلك ألبس المصطلح ثوبا أنطولوجيا،وربط مسألة معرفة معنى الوجود بمعرفة الوجود الإنساني الذي سماه الدازاين.إذن فقد اكتشف هيدغر منهجا يمكن من خلاله تفسير الوجود عبر تفسير الوجود الإنساني ؛ ففهم الوجود المشخص أقرب من فهم الوجود الحقيقي في معناه العميق،ويعتقد أن هناك وجودا بسيطا وساذجا عن الوجود وهو سابق على الفهم اللغوي والمنطقي ، وتتلخص مهمة التأويل في الوصول إلى هذا الفهم ،وكان من أهم أهدافه تأكيده على دور قبلية الرؤية والبناء والتركيب الوجودي»([38])

أخذت لفظة الفهم معنا آخر عند هيدغر،خالف به ماكان سائدا قبلا،إذ يمثل في مدرسته «[قدرة المرء على ادراك ممكنات وجوده ضمن سياق العالم الحياتي،الذي وُجد فيه،فهو ليس موهبة خاصة أو قدرة معينة على الشعور بموقف شخص آخر،ولا هو القدرة على ادراك معنى أحد تعبيرات الحياة على مستوى أعمق]،ليس شيئا نمتلكه،بل هو شيء نكونه. الفهم شكل من أشكال الوجود في العالم،الفهم هو الأساس لكل تفسير،وهو متأصل مصاحب لوجود المرء،وقائم في كل فعل من أفعال التأويل»([39]).لقد ربط هيدغر بين التأويلية واللغة،وجعل العلاقة بينهما وطيدة،خصوصا وأن «مهمة التأويلية الاضطلاع بتفعيل سؤال الكينونة وإظهارها،وهو إظهار لا يمكن ان يكون حسب هيدغر غلا بواسطة اللغة،فهذه التأويلية المنبثقة عن الفينومينولوجيا،تقوم باستدراج هذه الكينونة إلى اللغة لتستطيع الإمساك بالكائن وفكره من خلال إشارته،وعلاماته وإحالته داخل عالم اللغة،أي عالم النص،إنها تقصد إلى شمولية رؤية الفهم لكينونة العالم،من حيث هو وجود ملحق باللغة،وهي لغة قادرة على إظهاره وإجلائه،إن اللغة على هذا النحو تشيد عالما،وتجعل منه قوة متجددة باستمرار»([40])

لقد تطورت التأويلية مع هانز جورج غادامير بعد ذلك،والتي أخذها على محمل الجد من تطورها الحديث،إذ قدم في مؤلفه(الحقيقة والمنهج) وغيرها من المؤلفات أفكارا رسمت ونظمت عمل التأويل عنده،فقد تصدى لفكرة الحقيقة في بعدها المنهجي،كما تعرض لمفهوم الفهم الذي يبتعد به وبالتأويلية عن فكرة إشكالية المنهج وعن فكرة الآداتية، إذ يقول«لئن جعلنا الفهم

موضوعا لتفكيرنا، فليس المرمى من وراء ذلك هوفن الفهم أو تقنية الفهم»([41]) ،وإنما الفهم حسبه هو مايحدث(حدث)،خصوصا وأن محور الهرمنيوطيقا عنده يتركز حول عملية الفهم الإنسانية،فلقد كان في كتابه(الحقيقة والمنهج)،«يسعى إلى التأكيد على إجراءين جوهريين ،ضرورة تخليص عملية الفهم من الطابع النفسي،الذي وسمتها به رومنطيقية دلثاي وشلايرماخر، وبالتالي ضرورة فصل النص عن ذهنية المؤلف وروح العصر الذي ينتمي إليه ،ثم ضرورة تحويل الاهتمام إلى عملية الفهم في حد ذاتها،في حيثياتها الخفية وفي بعدها التاريخي،وهو المبدأ الذي يختلف تماما عن تصور شلايرماخر الذي ركز على وضع القواعد والمعايير التي تعصمنا من سوء الفهم،ذلك أن نقطة البدء فيما يرى غادامير «ليست مايجب أن نفعل أو نتجنب في عملية الفهم ،بل الأحرى الاهتمام بما يحدث بالفعل في هذه العملية".»([42])

ينطلق غادامير وهو يؤسس لمشروعه التأويلي من مفاهيم ثلاث أساسية، عدت أدوات وإجراءات رسمت حدود هذا الفعل عنده وهي:التاريخ،اللغة الفن(الجمال) ؛هذا الأخير الذي أخذ حيزا هاما من نزعته التأويلية ،إذ يرى غادامير«إن الاعمال الفنية لم تبدع لأغراض جمالية خالصة،بل كان قصد منشئها ان يُتلقى عل أساس ماتقوله أو تمثله من معان...إننا حين نتلقى العمل الفني ونحكم عليه على أساس الوعي الجمالي وحده،فنحن نغترب عنه لكوننا ننكر الحقيقة الكامنة فيه،وحقيقة الفن التي يحملها شكله الجمالي هي المعنى الذي يدعيه الفن»([43]).من المفاهيم التي أسست لتأويلية غادامير"مقولة الوعي بنشاط التاريخ" وهي من«أشد المقولات تداخلا و كثرها استعصاء على التحديد،بوصفه المفهوم المركزي في التحليل الغادامير ي للوعي التاريخي...فهذا الأخير الذي يعمل غادامير على بلورته كمشروع بديل لايخرج عن إطار هرمنيوطيقا هيدغر التي ترى الانسان[كغيره]من بني البشر،كائنات تاريخية لا تعي وجودها إلا داخل بنية فهم ماقبلية مسبقة»([44])،ففضلا عن قيام تأويلية غادامير على هذا المفهوم فهي تضم ضمنه مقولة"الوعي المدرج في الصيرورة التاريخية" والتي مفادها «أن الذات الواعية موجودة دائما داخل التاريخ،ومادام الوعي مندرجا في الصيرورة التاريخية،فإن المعنى إذن سيكون دائما وليد اللحظة التاريخية التي يتفاعل فيها أفق المفسر وأفق النص»([45])،وينصهران معا،وبالتالي لا يقف المعنى على ثبات،وإنما يتغير حسب طبيعة كل عصر وكل جيل من المتلقين.ويضيف في هذا السياق مقولة أخرى هامة أسست لفعل الفهم،وهي مقولة""التقليد أوالتراث":«فنتيجة الاندماج بين أفقي الماضي والحاضر،يجب أن تكون في نظره انتقالا مستمرا للماضي في الحاضر ،وهو

الانتظار الذي يضمن الحضور الدائم للتقليد في واقعنا الراهن،وعندئذ فإن أفكارنا المسبقة نفسها،ومفاهيمها القبلية ستكون نابعة من التقليد ذاته أو من التراث.ومادام هذا الأخير لم يعد يتكلم عبر الماضي وأعمال الماضي[موضوع التأويل فحسب،بل وعبر المؤول ذاته –فعل التأويل-أيضا]،فإنه يتوسط دائما عملية التأويل، وفي عملية التوسط هذه يبقى التراث حيا دائما.وهكذا تصبح قوة الأفكار المسبقة النابعة من التقليد ومن السلطة والتاريخ،هي المسؤولة عن الفهم،بل والأكثر من ذلك فهي التي تكوّن الحقيقة التاريخية لكينونة الفرد،وهي عبارة أخرى للقول أن التقليد أو التراث هو المؤسس لفعل الفهم»([46]).لقد أفاد الكثير من أفكار غادامير عن التأويلية وتبنتها العديد من النظريات المعاصرة(كنظريات القراءة والتلقي)،خصوصا وأنه حرر النص من قبضة المؤلف لينفتح على أفق متعددة،جعلت من عملية الفهم مستمرة قائمة على الحوار والمشاركة الفعالة،وآخر مفاهيمه التأسيسية لفعل التأويل هي اللغة التي عدت موضوع اكتمال التأويلية وعنصرها خصوصا في علاقتها بالفهم،«فأن نفهم يعني ان نساءل عن معنى،وأن نترجمه بلغة هي دائما،وبالضرورة لغتنا،إذ ثمة انصهار بين سيرورة الفهم ووضعه في لغة»([47]).لقد شكلت هذه المنعرجات أساسا في تأويلية غادامير التي تبناها من جاء بعده فكرا وأساسا في النظريات المعاصرة.

أما مع بول ريكور،فقد أخذت التأويلية منحى أكثر تطورا ،إذ يعد من أشهر منظريها في الفكر المعاصر،خصوصا في انفتاحه وتنوع مشاربه الفلسفية،التي أسس وفقها وعلى إثرها ممارستها التأويلية ،إذ استقى من البنيوية ومن التحليل النفسي ومن السيميولوجيا والأدب،ومن كل جوانب المعرفة نصيبا،قدم به نقدا يشتغل ضمن إطار ما يسمى بصراع التأويلات(وهو صراع مقولات سادت في فترة سابقة)،مشكلا مشروعا فكريا يستبطن به التجربة الإنسانية.لقد أصبح فعل التأويل مع ريكور وسيطا بين الذات وذاتها،إذ «لم تعد آداة لتفسير النصوص(والحياة والعالم والكينونة) وفهمها فحسب،بل ولفهم الذات المؤولة لذاتها أيضا من خلال كل ذلك،وهو التصور الذي كشف به عن زيف مقولة الكوجيتو الديكارتية(أنا أفكر، إذن أنا موجود)،وفند به أيضا تصور هوسرل الفينومينولوجي،الذي يبقى ديكارتيا إلى حد كبير بتأكيده على قرب الذات من ذاتها.إن الفهم في نظر ريكور،لا يعكس كيفية وجودنا في العالم بقدر ما يكشف لنا عن إمكانات أخرى لوجودنا في العالم،لم نكن نعرفها أو نعيها قبل الشروع في عملية الفهم والتأويل،وهكذا يغدو الفهم صيرورة وعي ،بدل أن يكون حضورا كليا للذات الواعية.»([48])لقد

أفاد ريكور كثيرا من أفكار نيتشه،ومن فينومينولوجيا هوسرل(بما هي فلسفة هرمنيوطيقية)،ومن طريقة هيدغر في أنطولوجيا الفهم ومن مقولة الدازاين،كمرجعيات فلسفية يؤسس وفقها مشروعه التأويلي،ويطرح فيها مفهومه عن الفهم،إذ يقول:«إن البحث عن الفهم هو الذي أدى بعد قرن من الزمن إلى الالتقاء بالسؤال الظاهراتي بامتياز أن تمحيص المعنى القصدي للأفعال الفكرية.»([49])فلكل من الفينومينولوجيا والهرمنيوطيقا نفس الإشكالية الفلسفية المتمثلة في البحث عن العلاقة بين الموضوع والذات، أين بين المعنى والذات،فالفهم/التأويل حسب ريكور«ليس شيئا نجده أونعثر عليه داخل الأشياء،بل هو كينونة تحياها الذات وتكونها،لذا يقال بأن فهم النص وتأويله هو أولا وقبل كل شيء فهم وتأويل الذات...فمن خلال فهمنا لذواتنا نحوز على معنى رغبتنا في أن نكون أو جهدنا من أجل أن نوجد.»([50]) إن عملية الفهم حسب ريكور ترتكز على اللغة كإجراء و آلية لا بد منها،إذ يتم «هذا الفهم/تأويل الوجود وفق ما تمنحنا إياه اللغة كوسيط من إمكانات لتشكيل علاقة بين ذواتنا والعالم المتجلي في رمزية اللغة،يحدث ذلك من خلال وساطة النص،بما هو منطقة لصراع التأويلات .فالفهم بوساطة رموز اللغة،بعد مايتم إخراجها من ضيق الثنائيات التي جعلت الهرمنيوطيقا تنحصر في البحث عن تفسير المعنى المستتر وراء الظاهر،إلى سعة النصوص ،حيث تتبدد أوهام الذات في وجود معرفة حدسية...وبهذا يعيد ريكور الاعتبار لرمزية اللغة على اعتبار أن الحقيقة إنما تتعدد فهما وتأويلا عبر تلك الطاقة الرمزية التي يحتكم إليها النص والتي بها تتعدد نصوصا»([51]).وهنا يؤكد على أهمية اللغة في عملية الفهم مستحدثا مصطلح الارتياب الذي حطم به مقولة الكوجيتو من خلال «التعامل مع الرموز بعدّها حقيقة زائفة لا يجب بها،بل يجب إزالتها وصولا إلى المعنى المختبئ ورائها ،فالرمز هنا لا يشف عن المعنى بل على الحقيقة ويطرح بدلا منه معنى زائفا ،ومهمة التفسير إزالة المعنى الزائف السطحي وصولا إلى المعنى الباطني الصحيح.»([52])وبخصوص هرمنيوطيقا النصوص عند ريكور ،فهي تتحدد انطلاقا من مهمتها التي تكون حسبه البحث «داخل النص ذاته من جهة،عن الدينامية الداخلية المندسّة خلف هيكلة الأثر الأدبي ،والبحث من جهة ثانية عن قدرة هذا الأثر على ان يلقي بنفسه خارج ذاته يولد عالما يكون بحق هو شيء النص»([53]).وعلى العموم فمشروع ريكور مشروع ضخم ،يستثمر من كل النظريات والفلسفات مرجعيات يبني وفقها الفعل التأويلي النقدي،الذي يهدف من ورائه إلى «إقامة علم لتفسير النصوص،يعتمد على منهج موضوعي صلب،يتجاوز عدم الموضوعية التي أكدها غادامير،إنها نوع من العودة إلى البحث عن المنهج أو

الشروط،التي تمنح التأويل مشروعيته ومصداقيته،علميته وموضوعيته،وقد وجد ريكور في علم الدلالة وعلم اللسانيات وفقه اللغة والتحليل اللغوي عموما والسيميولوجيا والتحليل البنيوي ككل-شريطة ألا يبقى حبيس انغلاق النص،أي عموما رهينة البحث عن البنيات الداخلية المجردة دون تجاوزها إلى المعنى الكامن وراءها- الوسائل العلمية المثلى لتفسير النصوص وتأويلها بكيفية مستقلة عن ذاتية المؤول وعن قصدية المؤلف في الوقت نفسه»([54]).إن في هذا المعنى دعوة إلى انفتاح النص وعلى تجدده انطلاقا من مجموع التأويلات اللانهائية،التي تتأسس وفق معايير وقواعد موضوعية،اتخذها النقد إجراءات ووسائل تجعل من القارئ أو المؤول قادرا على إقامة وتحديد الفروق بين القراءات التأويلية الهادفة وغير الهادفة ،المقنعة أو العكس،المناسبة أو غيرها،وهو ما أصبح متعارفا عليه في الوسط الأدبي الحديث والمعاصر،ولعل أبرز من مثله هو امبرتو إيكو ومشروعه التأويلي النقدي المنبني على انفتاح النص أو العمل الأدبي؛«فالعمل الأدبي "المفتوح" في نظر إيكو هو العمل الذي ينطوي على إمكانات هائلة،إنه عمل يكوِّن حقلا من الاحتمالات التأويلية،ويقترح سلسلة من القراءات المتغيرة باستمرار...ويكون مبنيا باعتباره كوكبة من العناصر التي تقبل مختلف العلاقات المتبادلة،ويترك القارئ أو المؤول يتموقع بمحض إرادته داخل هذه الشبكة من العلاقات التي لا تنفد ويختار بنفسه أبعاد مقاربته،ونقاطه التوجيهية،ومرجعيته الخاصة،ويتركه ينحو من تلقاء نفسه،إلى أن يستعمل في الوقت ذاته أكبر عدد ممكن من المرجعيات ومن المنظورات ويجعله ينشط ويكثف ويوسع أدواته الإدراكية إلى أقصى حد ممكن.»([55]) لقد منح إيكو للقارئ الممارس لفعل التأويل كامل الحرية(بمعناها الواعي)في تأويلاته وتدخلاته في النص،انطلاقا من مرجعيات ومقصديات وثقافات ومشارب مختلفة ينفتح بها معنى النص،الذي يرفض إيكو على إثره مفهوم التأويل المغلق، وهو في هذه الممارسة استفاد كثيرا من«البحوث السيميائية الحديثة خاصة جهود(ش.س.بيرس)في إنتاج الدلالة واشتغال العلامات والنمو اللولبي والسيميوزيس ليقدم لنا معطيات تطبيقية تنتمي إلى ما يطلق عليه بالتأويل المضاعف»([56])،ويشيد إيكو هنا وهو يدعو إلى القراءة المنفتحة على الأثر الجمالي الذي تنتجه مجموع التأويلات والقراءات اللامتناهية،« إذ يقف على هذه القراءة المفتوحة من حيث أنها نشاط نابع من أثر فني»([57])،وهو ما أكده من خلال مؤلفاته خاصة(دور القارئ في الحكاية)،(التأويل والتأويل المفرط)،وهما المؤلفان اللذان بدل فيهما جهدا كبيرا وبيّن فيهما حاجة النص إلى التأويل ودور القارئ المنتج لسيرورة من المعاني والدلالات وإسهامه الكبير

والواعي في تشكيل البناء الجمالي.أما في كتابه المتأخر(حدود التأويل) فقد «جاء لغايتين اثنتين،لقد أراد إيكو أن يبين من خلال مقولاته التي لم تكن تدعم أبدا اعتباطية القراءة أو التأويل...بل ان تؤكد دائما أن مبادرة القارئ أو المؤول ضرورية،ولكنها تبقى موجهة من النص،أما الغاية الثانية،فتتمثل في رد الفعل على التيارات أو التوجهات التي تقول أنه ليس هناك ما يحكم الممارسة التأويلية،وأن القارئ بإمكانه أن ينتج مدا من القراءات أو التأويلات تكون بدون حدود،وأن كل القراءات هي قراءات سيئة أو خاطئة،وإلا فسوف تكون كلها مناسبة وجيدة»([58])،وهذه التيارات متمثلة في مقولات الفكر التفكيكي والفكر البراغماتي المتأثر بالتفكيك،والذي جاءت تأويلية إيكو كرد فعل لها،والذي كانت ممارسته التأويلية من أهم المشاريع النقدية للنصوص والأعمال الأدبية.

**خاتمة:**

لقد كانت هذه المفاهيم والرؤى ،على اختصارها أهم المحطات التي ارتسم وفقها طريق الفعل التأويلي في الدرس الغربي ، والذي أخذ في تشكله وبنائه مسار تحولات ،تكونت من مناحي مختلفة وتنوعت متطورة بين الدين والفلسفة والنقد ، الذي صنع لنفسه في كل محطة مقولات ومفاهيم ،تبني وفقها المحطة التالية مقولاتها هي الأخرى حتى تشكل رصيد التأويل كمفهوم فلسفي ونقدي له جذوره القديمة جدا، وأصبح من اهم الممارسات الفلسفية والإجراءات المنهجية التي لا بد منها في كل قراءة أو تحليل.

---

**الهوامش:**

([1])- محمد بن مكرم بن علي جمال الدين أبو الفضل ابن منظور، لسان العرب ، دار المعارف، ج1، القاهرة، دط،دس، ص 171 – 172.

([2])- هانز جورج غادامير، فلسفة التأويل-الأصول،المبادئ ،الأهداف-، تر:محمد شوقي الزين، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف،الجزائر،ط1،2007 م، ص 61.

([3])- سماحة آية الله الشيخ جعفر السيحاني، مفهوم التأويلية ، تعريب:محمد حسن السالم، قراءات معاصرة ع 1، السنة الأولى، مؤسسة مثل الثقافية، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، النجف، 2015م،ص21.

([4]) - مصطفى ناصف، نظرية التأويل،النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط1، 2000م، ص30.

([5]) -عبد الله بريمي، السيرورة التأويلية في هرمينوسيا هانس جورج غادامير وبول ريكور، دار الثقافة والاعلام، الشارقة –الامارات ، ط1،2010 م،ص 26.

([6])- المرجع نفسه ، ص 21 – 22 – 23.

([7]) - دافيد جاسبر،مقدمة في الهرمنيوطيقا،تر:وجيه قانصو،الدار العربية للعلوم ناشرون،منشورات الاختلاف،الجزائر،ط1 ،2007م، ص 17.

([8])- داخل الحمداني، التأويلية في سياقها التاريخي، قراءات معاصرة، ع 1، مؤسسة مثل الثقافية، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، النجف، 2015م ، ص 96-97.

([9])- خادايار مرتضوي، التأويلية والمنهجية في العلوم الانسانية، قراءات معاصرة،ع1، مؤسسة مثل الثقافية، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، النجف، 2015م، ص 60.

([10]) - هانز جورج غادامير،فلسفة التأويل ، ص 61.

([11]) -المصدر نفسه ، ص 62.

([12])- حفناوي رشيد بعلي،مسارات النقد ومدارات مابعد الحداثة في ترويض النص وتقويض الخطاب،دروب للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1 ،2011م ، ص 109.

([13]) - هانز جورج غادامير،فلسفة التأويل ، ص 64.

([14]) - المصدر نفسه ، ص 64 – 65.

([15]) - نفسه، ص 63.

([16]) - نفسه ، ص 63 – 64.

([17]) - داخل الحمداني،التأويلية في سياقها التاريخي، قراءات معاصرة، ص 98.

([18]) - المرجع نفسه ،ص 97.

([19])- حفناوي رشيد بعلي، مسارات النقد ومدارات ما بعد الحداثة، ص 109.

([20]) - مصطفى ناصف،نظرية التأويل، ص 36.

([21]) - حفناوي رشيد بعلي،مسارات النقد ومدارات مابعد الحداثة، ص 114 – 115.

([22])- عبد الغني بارة،الهرمنيوطيقا والفلسفة-نحو مشروع عقل تأويلي-،الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف،الجزائر،ط1 ، 2008م، ص 175 – 179.

(23)- عبد الكريم شرفي،من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة-دراسة تحليلة نقدية في النظريات الغربية الحديثة-،الدار العربية للعلوم ناشرون،منشورات الاختلاف،الجزائر،ط1 ،2008م، ص 25 – 26.

(24) - المرجع نفسه ، ص 26.

(25) - المرجع نفسه ، ص 26.

(26) - نبيهة قارة، الفلسفة والتأويل،دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت-لبنان،ط1 ،1998م، ص 44.

(27) - عبد الغني بارة،الهرمنيوطيقا والفلسفة ، ص 180.

(28) - عبد الكريم شرفي،من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة ، ص 31.

(29)_ المرجع نفسه ، ص 32.

(30)-عادل مصطفى،فهم الفهم-مدخل على الهرمنيوطيقا"من افلاطون إلى جادامير"-،رؤية للنشر والتوزيع،القاهرة،ط1 ،2008م،ص72 – 73.

(31) - المرجع نفسه ، ص 73.

(32) - عبد الكريم شرفي،من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة ، ص 32 – 33.

(33)-محمد ولد سالم الأمين،حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة،منشورات المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر،طرابلس، ط1، 2004م، ص 28 – 29.

(34) - عبد الكريم شرفي،من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة ، ص 33.

(35)- عبد الغني بارة،الهرمنيوطيقا والفلسفة ، ص 196.

(36) - المرجع نفسه ، ص 207.

(37) - عادل مصطفى،فهم الفهم ،ص75.

(38) - داخل الحمداني،التأويلية في سياقها التاريخي، قراءات معاصرة،ص102.

(39) - علي فتحي،مدخل لتأويلية هايدغر،تعريب:علي هاشم الموسوي، قراءات معاصرة،ع1، مؤسسة مثل الثقافية، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، النجف،2015م،ص135.

(40) - عبد الله بريمي،السيرورة التاويلية ،ص44-45.

(41)- هانز جورج غادامير ،الحقيقة والمنهج،تر حسن ناظم وعلي حاكم صالح،دار أويا ،طرابلس، ط1 ،2007م،ص29.

(42) - عبد الكريم شرفي،من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة ،ص36.

(43) - المرجع نفسه ،ص37.

(44) - المرجع نفسه ،ص294-295.

(45) - عبد الكريم شرفي،من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة ،45.

(46) - المرجع نفسه ،ص47.

(47) - جان غروندان،التأويلية،تر:جورج كتورة، دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت،ط1 ،2017م ،ص67.

(48) - عبد الكريم شرفي،من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة ،ص50.

(49)- بول ريكور ،من النص إلى الفعل-أبحاث في التأويل-،تر:محمد براءة وحسين بورقية،عين للدراسات والبحوث الإنسانية، مصر، ط1 ، 2001م،ص21.

(50) - عبد الغني بارة،الهرمنيوطيقا والفلسفة ،ص350.

(51) - المرجع نفسه ،ص351.

(52) - محمود خليف الحياني،التأويلية مقاربة وتطبيق-مشروع قراءة في شعر فاضل العزاوي-،دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن،ط1، 2013م ، ص229.

(53) - عبد الغني بارة،الهرمنيوطيقا والفلسفة ،ص353.

(54) - عبد الكريم شرفي،من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة ،ص55.

(55) - المرجع نفسه ،ص56.

(56) - عبد الحميد هيمة،القراءة التأويلية-الآليات والحدود-،مقال منشور في اطار فعاليات الملتقى الوطني الأول في الاتجاهات الحديثة في دراسات اللغة والادب يومي26-27 أكتوبر2011م،جامعة قاصدي مرباح، ورقلة ،ص11.

(57) -امبرتو إيكو،التأويل بين السيميائيات والتفكيكية ،تر:سعيد بنكراد،المركز الثقافي العربي، بيروت،2000 م، ص 21.

(58) - عبد الكريم شرفي،من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة ،ص82- 83.

## قائمة المصادر والمراجع:

_ امبرتو إيكو،التأويل بين السيميائيات والتفكيكية ،تر سعيد بنكراد،المركز الثقافي العربي، بيروت، 2000م.

_ بول ريكور،من النص إلى الفعل-أبحاث في التأويل-،تر:محمد براءة وحسين بورقية،عين للدراسات والبحوث الإنسانية، مصر، ط1 ، 2001م.

_ جان غروندان،التأويلية،تر:جورج كتورة، دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت،ط1 ،2017م.

_ حفناوي رشيد بعلي،مسارات النقد ومدارات مابعد الحداثة في ترويض النص وتقويض الخطاب،دروب للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1 ،2011م.

_ خادايار مرتضوي، التأويلية والمنهجية في العلوم الانسانية، قراءات معاصرة،ع1، مؤسسة مثل الثقافية، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، النجف، 2015م.

_ داخل الحمداني،التأويلية في سياقها التاريخي، قراءات معاصرة، ع 1، مؤسسة مثل الثقافية، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، النجف، 2015م.

_ دافيد جاسبر، مقدمة في الهرمنيوطيقا،تر:وجيه قانصو،الدار العربية للعلوم ناشرون،منشورات الاختلاف،الجزائر،ط1 ،2007م.

_ سماحة آية الله الشيخ جعفر السيحاني، مفهوم التأويلية ، تعريب:محمد حسن السالم، قراءات معاصرة ع 1، السنة الأولى، مؤسسة مثل الثقافية، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، النجف، 2015م.

_ عادل مصطفى،فهم الفهم-مدخل على الهرمنيوطيقا"من افلاطون إلى جادامير"-،رؤية للنشر والتوزيع،القاهرة،ط1 ،2008م.

_ عبد الحميد هيمة،القراءة التأويلية-الآليات والحدود-،مقال منشور في اطار فعاليات الملتقى الوطني الأول في الاتجاهات الحديثة في دراسات اللغة والادب يومي26-27 أكتوبر2011م،جامعة قاصدي مرباح، ورقلة.

_ عبد الغني بارة،الهرمنيوطيقا والفلسفة-نحو مشروع عقل تأويلي-،الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف،الجزائر،ط1 ، 2008م.

_ عبد الكريم شرفي،من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة-دراسة تحليلة نقدية في النظريات الغربية الحديثة-،الدار العربية للعلوم ناشرون،منشورات الاختلاف،الجزائر،ط1 ،2008م.

_ عبد الله بريمي، السيرورة التأويلية في هرمينوسيا هانس جورج غادامير وبول ريكور، دار الثقافة والاعلام، الشارقة –الامارات، ط1،2010م.

_ علي فتحي،مدخل لتأويلية هايدغر،تعريب:علي هاشم الموسوي، قراءات معاصرة،ع1، مؤسسة مثل الثقافية، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، النجف،2015م.

_ محمد بن مكرم بن علي جمال الدين أبو الفضل ابن منظور، لسان العرب،دار المعارف، ج1، القاهرة، دط،دس.

_ محمود خليف الحياني،التأويلية مقاربة وتطبيق-مشروع قراءة في شعر فاضل العزاوي-،دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن،ط1، 2013م.

_ محمد ولد سالم الأمين،حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة،منشورات المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر،طرابلس، ط1، 2004م.

_ مصطفى ناصف، نظرية التأويل،النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط1، 2000م.

_ نبيهة قارة،الفلسفة والتأويل،دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت-لبنان،ط1 ،1998م.

_ هانز جورج غادامير ،الحقيقة والمنهج،تر حسن ناظم وعلي حاكم صالح،دار أويا ،طرابلس، ط1، 2007م.

_ هانز جورج غادامير،فلسفة التأويل-الأصول،المبادئ ،الأهداف-، تر:محمد شوقي الزين، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف،الجزائر،ط1،2007م.